التلفزيون وتمثلات الجلال مقاربة نظرية

سمير لعرج: أستاذ محاضر " أ "
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة محمد الصديق بن يحيى - جيجل

ملخص:

يتناول هذا المقال دراسة تمثلات وتجلّى الجلال التلفـــزيوني في قنـاة القرآن الكريم السعودية، باعتماد مقاربة نظرية ويحاول الكشف عن بعض النقائص في تفسير فلسفة الجلال، التي لازمت الدراسات الجمالية، وذلك من خلال الحديث، عن جلال البيت الحرام، وجلال الكعـــبة، وجلال المكـــان المطلق، والزمان المطلق، وجلال المعنى، وجلال تلقي وسماع القرآن، وجلال الحركـــة، وجـــلال العبـــادة، وجلال التجمـــع البشـــري، وجـــلال الصـــورة التلفزيونية، ثم بعد ذلك الحديث عن إعجاز الصورة التلفزيونية بمحتوياتها على المباشر التلفزيوني.

Abstract:

This article contains a study of the representations and the manifestations of the sublime in (quran tv-arabia saudi) depending on an approach theory; trying to figure out some imperfections in the previous philosophical studies in the explication of sublime as a theme in aesthetics. by examining the sublime in relation with: the sacred mosque, sacred kabaa, the absolute space, absolute time, spiritual meaning, walking around the sacre kaaba, listening to quran recitation, extreme *submission and worship* , the huge crowd and the perfect direct images .and after that talking about the inimitability of the streaming media and all of its contents.

تمهيد:

لقد ساهمت الدراسات النقدية التلفزيونية منذ، بدايتها في خمسينات القرن العشرين؛ في تأسيس ركائز ومبادئ الجماليات التلفزيونية؛ انطلاقا مما حققه النقد السينمائي، ثم بعد ذلك جماليات السينما، ولقد كانت هذه الدراسات النقدية تدور حول البرامج التلفزيونية، حيث كانت تتوجه إلى مشاهدين افتراضيين، كما حدث ذلك مع الناقد الفرنسي "أندريه بازان" خلال سنوات 1952-1955 .[1]

ومع أكبر كتاب النقد التلفزيوني في منتصف الخمسينات من القرن العشرين في ألمانيا، حيث كان يدور النقد التلفزيوني حول عمليات إنتاج البرامج التلفزيونية (كالممثلين، والمخرجين، والكتاب)...، وكذلك عمليات التلقي التلفزيوني؛[2] ومن هنا، بدأت تتأسس نظرية فنية التلفزيون؛ بالتفريق بين الفن في التلفزيون، وفن التلفزيون، وكذلك احتواء التلفزيون لبعض خصائص الفنون الأخرى المعروفة؛ كالسينما، الأدب، الرسم، النحت، والموسيقى.[3] وبهذا أخذ علم الجمال Esthétique طريقه إلى الدراسات النقدية التلفزيونية، موازاة مع التطور التقني للتلفزيون، واستفادته من التطبيقات الجمالية للفنون الأخرى. وعلى الرغم من تطور دراسات الجماليات التلفزيونية؛ إلا أنها لم تعط أهمية لمقولة الجلال؛ من حيث كونها مرتبطة بالجمال حينا؛ ومستقلة عنه حينا آخر.

وعليه؛ سنحاول هنا الولوج إلى الجلال التلفزيوني؛ من خلال تتبع بث مباشر لقناة "القرآن الكريم" السعودية، وذلك باستخدام مقاربات نظرية في تفسير وفهم نفسية الجلال، من خلال الصور التلفزيونية المباشرة؛ محاولين بذلك تخطي النظرية الجمالية الغربية؛ في تفسيرها للجلال والجمال كمقولتين جماليتين.

ونبدأ حديثنا هنا عن أصل وماهية الجلال؛ ثم نتحدث عن تمثلاته في التلفزيون؛ وبالضبط في قناة "القرآن الكريم" السعودية.

I- في فلسفة أصل وماهية الجلال:

أصل الجلال:

اللّه هو أصل الجلال، "وهو الذي جلّ في علو صفاته؛ وتعذر بكبريائه أن يعرف كمال جلاله؛ فعظمته أعظم من أن تعرف، أو أن يحاط بها.. وهناك صفات للّه عز وجل ترجع إلى العظمة والقوة والقداسة والغنى، هذه الصفات تجمعها صفة الجلال. وهناك صفات كالرحمة والإحسان واللطف والعفو والكرم؛ فهذه الصفات يجمعها اسم الجميل.."[4] ومن ثم، فإن كل ما هو صادر عن اللّه فهو جلال؛ بداية من خلق السماوات والأرض وما بينهما،

وخلق الطبيعة وما حوت، إلى الآخرة وما فيها؛ وبالتالي ينبغي على كل دارس وناقد جمالي؛ إرجاع أصل الجلال، إلى الجليل المطلق. ونلاحظ هنا أن الفلسفة الغربية في تفسيرها للجلال قد ركزت على الآثار النفسية والحسية؛ التي يولدها فينا الموضوع محل التقييم الجمالي.

ماهية الجلال: ذكر ابن العربي في «أحكام القرآن» أنّ «...الجليل: هو الذي لا يليق به ما يدُل على الحدوث»؛[5] وورد في «موسوعة أسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى من الكتاب والسنة»، «..جَلَّ يجلُّ، أي عظم قدره؛ والجليل من له الجلالةُ والعزُّ والغنى والنّزاهة، والجليل: هو العظيم الذي يتنزّه عمّا لا يليق به.. الجليل: هو الموصوف بنعوت الجلال، وهي: الغنى، والملك، والتقديس، والعلم و القدرة... الجليل هو الموصوف بنعوت الجلال، والجامع لصفاتها جميعها، وهو الجليل المطلق، والجليل المطلق هو الله تعالى، والكبير: هو الذي يرجع في صفاته إلى كمال الذات: فهناك كمال للذات، وكمال للصفات، مجوع الصفات التي ترتبط بكمال الذات: الكبير. ومجموع الصفات التي تتعلق بكمال الصفات: الجليل...[6]

ينبؤنا تاريخ الحديث عن الجلال Le sublime وتوصيفه، وتعريفه، أن هناك تبسيطا في النظر إلى حقيقة جوهره، ونفسيته، فكلما حاول أحد الفلاسفة أو الدارسين الجماليين الولوج إليه؛ وقف عند عتبته لا يستطيع إلى ذلك سبيلا، وسبب ذلك كله هو عدم إرجاع موضوع الجلال، إلى الجليل المطلق وهو الله تعالى، ومحاولة حصر الجلال داخل نطاق الطبيعة وعقل الإنسان، وفصل الجميل عن الجليل، والجمال عن الجلال؛ وجعل لكل منهما شروطا وظروفا؛ يحكم بها العقل الجمالي، المحدود زمانا، ومعرفة، وذوقا، على الشيء أو الموضوع اللامحدود زمانا، ومعرفة؛ وذوقا، حيث نجد بعض الأفكار تؤكد هذا، مثل ما أورده "دني هويسمان" عن "ادموند بيرك" أن الجلال «..يرتبط بالتوتر العضلي والعصبي؛ وهو تلبية لدعوة شعور خيّر بالألم، يتعلق بالفراغ، بالمخيف، بالغياهب، بالانفراد، بالصمت»؛[7] وما أورده "مارك جيمينيز" في كتابه "ما الجمالية"؟ عن "إدموند بورك" في رؤيته للجلال؛ حيث يقول: " ... إن السامي عند بورك، يتميز عن الجميل بوصفه يستثير اضطرابات فيزيولوجية ممتزجة بخليط من الفرح والألم..."[8]

ونتابع كذلك ما أورده الكاتب نفسه؛ من تصورات للفيلسوف كانط Kant حول الجلال، "...ما الأغراض التي تثير الشعور بالجمال؟ إنها مراع مبقعة بالزهور... وتعرجات جدول في واد ترى فيه قطعان عديدة... أما عن الشعور بالسامي؛ فيذكر: جبال ذات قمم مغطاة بالثلج مشرفة على الغيوم.. أشجار سنديان باسقة، وظلال منفردة في غابة مقدسة هي من السامي، وأسرة من الزهور وأجمات صغيرة هي من الجميل... الليل سام والنهار جميل، السامي مدعاة للانفعال فيما الجمال يغري..."[9]

إن البعد الحقيقي للجمال والجلال الطبيعيين؛ يقتضي عدم الفصل بينهما؛ فالجمال موجود ضمنا في الجمال؛ والجلال موجود ضمنا في الجمال؛ مادام الموضوع الجمالي، هو من عند الله.

إن تفسير نفسية الجلال بالشعور بالخوف والرهبة، والصدمة، والدهشة، والعجز... دون إرجاع ذلك كله إلى خالق الجمال والجلال يبقى تفسيرا سطحيا بعيدا عن حقيقة جوهر الخلق والوجود، وبهذا؛ ينبغي لفلسفة نفسية الجلال، أن تبلغ سلما ورقيا في ملكوت السماوات والأرض، حيث يصبح الجمال والجلال إشراقا وتجليا لعظمة الخالق، فيستظلان بمعاني أسماء الله الحسنى.[10]

إن حديثنا هنا عن الجمال والجلال يجعلنا نقر أنهما يتجليان في شتى مجلات الحياة، وما بعدها، كما دلت على ذلك المعرفة القرآنية ومنه يمكن الحديث عن تمثلات الجلال كما يلي:

أ- الجلال المطلق: وهو الصادر عن الله تعالى؛ فخلق الإنسان وتصويره ونفخ الروح فيه، جلال مطلق؛ وخلق الطبيعة وما حوت؛ مما نعلم ومما لا نعلم جلال مطلق، وتكون بذلك البحار والمحيطات جلال مطلق، والجبال جلال مطلق؛ ودوران الأرض جلال مطلق؛ وجريان الشمس وشروقها وغروبها جلال مطلق؛ والرياح جلال مطلق؛ والريح جلال مطلق؛ والزلازل جلال مطلق ...الخ.

إن التأمل والتدبر في بنية هذا الجلال المطلق العظيم يبعث في أنفسنا وقلوبنا راحة وطمأنينة، تزهر بعد ذلك خشوعا وخنوعا وخضوعا لله وحده..؛ وبالتأمل في بنية هذا الجلال المطلق نجد أنه ينقسم إلى قسمين:

- الأول، هو الجلال في العظمة: ويعني عظمة الشيء المخلوق.
- والثاني، هو الجلال في الصغر أو ما دونه: ويعني المخلوقات الصغيرة وما دون ذلك مما لا يرى بالعين.

I- الجلال المطلق الأخروي (نسبة للآخرة): وهو ذلك الذي أخبرنا عنه تعالى؛ مما هو في الحياة الآخرة.

ثم إن هذا الجلال المطلق الأخروي؛ يتداخل مع الجلال المطلق؛ من حيث المكان والزمان، ويتضح ذلك كما يلي:

- جلال المكان المطلق: ودل ذلك على صنعة الكون كله كما مر ذلك؛ لكن هذا الكون بزواله، يطلب مكانا آخر يستقر فيه، ولذلك خلق الله تعالى حياة أخرى كما أخبر عن ذلك.

– جلال الزمان المطلق: ودل ذلك على الحياة، بوقتها وزمنها، كتعاقب الليل والنهار، وتعاقب الفصول أربعة، كما دل ذلك على الحياة والموت، والفناء ولما كان هذا الزمان الذي هو في الحياة ينقضي ويموت، ويفنى، فهو يطلب خلودا للحياة الأخرى؛ حيث اللازمن واللاموت، واللافناء..

II- في فلسفة تفسير الجلال

لا يمكن بحال؛ فهم وتفسير الجلال إلا بالرجوع إلى أصله وفهم طبيعته وتذوق جوهره، فيكون بذلك الجلال المطلق صورة لما هو في الوجود، كآيات من آيات الخالق، دالة على صفاته وأسمائه، بمعنى أن الجلال اللامحدود زمانا ومكانا، يطلب أدوات للتفسير نابعة من جوهره، متجهة إلى مبدعه وخالقه، وتكون هذه الأدوات متجانسة مع زمن تفسير موضوع الجلال، فمنظر شروق الشمس وغروبها؛ هو جلال مطلق؛ وتفسير جوهره يكون بأدوات تربطه بحركة الزمن وتعاقب الليل والنهار وتعاقب الفصول الأربعة؛ وجريان الزمن نحو اللازمن، والخلود، ثم ربط ذلك كله بمصدر الجلال؛ الذي هو الجليل سبحانه.

وبهذا يكون اجتهاد عقل الإنسان هنا بمحاكاة هذا الجلال فنيا، محدودا زمانا ومكانا، فرغم بلوغ عمل ما السمو، والرفعة، والعظمة؛ فإن ذلك يظل محتوى في الوجود، وما فوق الوجود وما بعده، فالحديث عن جلال وسمو عجائب الدنيا يظل ناقصا وقاصرا؛ مقارنة بالمكان والحيز الذين يحتويانها؛ ومقارنة بملكوت السموات والأرض ولذلك نقول: لا ينبغي لتفسير الموضوع الجليل أن يخرج عن حقيقة وجوده ووظيفته كما خلق عليهما أول مرة وكل ماعدا ذلك؛ فهو لا شيء أمام تحدي المكان والزمان.

III- التلفزيون وتمثلات الجلال

طرح التلفزيون بعض صوره وتمثلات الجلال في شتى أنواعه؛ من حيث ارتباطه بالطبيعة كأية من آيات الله، وارتباطه بالفن كفعل إبداعي إنساني، ففي الأولى تجسد الجلال في مجمل المناظر الطبيعية، كالجبال الشاهقة، مع المنخفضات، البحار والمحيطات، الفيضانات والزلازل...، وفي الثانية تجلى الجلال في بعض صور التلفزيون (الدراما) التي بلغت أقصى درجات الإبداع الفني، كالأفلام والمسلسلات التي تحاكي مراحل تاريخية لحياة الأنبياء والرسل... وفي الثالثة تجلى الجلال في بعض صور التلفزيون الفضائي على المباشر، في مثل قناتي القرآن الكريم، والسنة النبوية السعوديتين.

IV- مدخل تقني لمركبات الصور التلفزيونية

لقد تمت عملية وضع عناصر هذا المقال، من خلال إجراء ملاحظات علمية، تمت لعشر الأواخر من شهر رمضان لعام 1434هـ ؛ بداية من يوم 30 جويلية 2013 الموافق ل 21 رمضان 1434هـ. ولقد اتبعنا طريقة المشاهدة قبل وبعد الصلوات الخمس؛ ولاحظنا أن هناك مشاهد للطواف والسعي بين الصفا والمروة لا ينقطع بثها على المباشر إلى في أوقات قصيرة جدا، ثم تستأنف عملية البث المباشر، وقمنا بالتقطيع التقني للصور المباشرة قبل وبعد صلاة الفجر يوم 21 رمضان 1434هـ، كما تم التقطيع التقني للصور المباشرة قبل وبعد صلاة الظهر ليوم 21رمضان 1434هـ، وتمت متابعة البث المباشر لباقي الصلوات على "قناة القرآن الكريم" السعودية.

ولأجل تأطير عملية صياغة أفكار هذا المقال قمنا بإتباع مقاربات نظرية متكامل، وهي: مقاربة جمالية وجلالية، مقاربة ما وراء السيميائية، مقاربة جلال التلقي والسماع.

ونبدأ بعملية عرض التقطيع التقني لمجمل صور قناة "القرآن الكريم" كالآتي:

لقد بدأنا عملية التقطيع في حدود الساعة الثالثة صباحا وخمس دقائق، بتوقيت مكة المكرمة كالآتي:

- شريط الصورة: لقطة أفقية كبيرة للطائفين حول الكعبة.
- شريط الصوت المصاحب للصورة: تلاوة القرآن الكريم " إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " الآية 34 من سورة لقمان القارئ أحمد الطرابلسي.

وفي الوقت نفسه لمشهد الطائفين حول الكعبة؛ وحركتهم، ينتقل المقرئ إلى سورة السجدة.

وبعد ذلك تقدم لنا الكاميرا؛ لقطة للساعين بين الصفا والمروة ثم تتبعها لقطة كبيرة أفقية للطائفين بالكعبة (والقرآن يتلى) تليها لقطة أفقية للطائفين وهم متشبثون بجدار الكعبة، ثم لقطة أفقية للطائفين مع صورة لذوي الحاجة، (توسعة المطاف) وفي هذه اللحظات تنتقل الكاميرا لتقدم لنا لقطة أفقية لبعض الساعين بين الصفا والمروة يرفعون أيديهم بالدعاء، متوجهين إلى الكعبة، ثم بعدها، تأتي لقطة أفقية للطائفين، في الجزء العلوي، وتلاوة القرآن الكريم مستمرة لا تنقطع. وهنا تنتقل بنا الكاميرا إلى لقطة أفقية كبيرة للمسجد الحرام، مبرزة جموع المصلين ينظرون للطائفين، لتعود الكاميرا لتصوير حركة طواف ذوي الحاجة؛ ثم تتبعها لقطة للطائفين في الجزء العلوي (الطابق الحديث)، ثم الانتقال لجموع الطائفين في المطاف حول الكعبة ...، وخلال تقديم هذه الصور يبدأ المقرئ

سعد الغامدي قراءة الآية 12 من سورة سبأ "وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ" الآية 12 من سورة سبأ، وفي ظل تلاوة القرآن الكريم كانت عملية تصوير الساعين بين الصفا والمروة متواصلة؛ بلقطة قريبة، أتبعت بلقطة تبين الركن اليماني وبعض جموع الطائفين.

وتستمر عملية تصوير مشاهد الطائفين والساعين بين الصفا والمروة وتلاوة القرآن الكريم (للغامدي)، وهنا يتم التركيز على الكعبة بتبيين كسوتها، ثم تأتي لقطة أخرى للكعبة والطائفين، ومقام سيدنا إبراهيم.

وفي ظل النقل المباشر لحركة الطائفين والمعتمرين، مع تلاوة الغامدي سورة "يس" يقدم شريط ألسني أسفل الصورة "لحظات ويرفع أذان الفجر من بيت الله الحرام بتوقيت مكة المكرمة" وتتوقف التلاوة هنا، وتقدم لنا الكاميرا لقطة للساعين بين الصفا والمروة في حدود 4:31 سا.

وفي حدود 4:32 سا رفع أذان الفجر بلقطة مقربة للمئذنة المؤذن (توفيق بين عبد الحفيظ خوج)، وفي هذه اللحظات تقدم لقطة أفقية كبيرة للمحيط الخارجي للمسجد الحرام، إقبال المصلين على الصلاة... الساعة 4:34سا

وبعد نهاية الأذان في حدود 4:36سا، نسمع شريط الصوت: "اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته" وفي هذه الأثناء يقدم لنا المخرج لقطة أفقية توضح امتلاء المسجد الحرام بالمصلين، مع بداية تلاوة الأدعية، وتقديم لقطات للمصلين؛ (في ركوعهم وسجودهم)، في الساعة 4:37سا- 4:38سا، ثم لقطة للساعين بين الصفا والمروة، في الساعة 4:39سا، وأخرى أفقية للمصلين داخل المسجد 4:39سا، ثم لقطة أخرى للمصلين يرفعون أيديهم بالدعاء، 4:40سا تتبعها لقطة للطائفين بالكعبة 4:41سا، ثم لقطة لبعض المصلين يرفعون أيديهم بالدعاء 4:41سا، ثم لقطة لبعض المصلين يرفعون أيديهم بالدعاء 4:41سا تلتها لقطة أخرى للساعين بين الصفا والمروة (وبعضهم يرمل)، ثم ينقلنا المخرج إلى لقطة للمصلين فوق الطابق الأعلى 4:42سا، لينتقل لتقديم لقطة قريبة لمصلي يرفع يديه بالدعاء 4:42سا، ثم لقطة مقربة للطائفين 4:43سا، تتبعها لقطة مقربة لمصلي يرفع يديه بالدعاء 4:43سا.

ويعود بنا المخرج للساعين بين الصفا والمروة 4:44سا، وبعد هذه اللقطة بلحظات تقام صلاة الفجر، حيث قدم المخرج لقطة أفقية لجموع المصلين في الطابق العلوي (هنا يتوقف الشريط الصوتي بالدعاء بين الأذان والإقامة).

وفي حدود 4:46سا؛ كانت بداية الصلاة؛ (توقف الطواف) بتكبيرة الإحرام؛ ثم قراءة سورة الفاتحة (الإمام صالح بن عبد الله) وفي هذه الأثناء وسورة الفاتحة تتلى، يقدم المخرج لقطة كبيرة لجموع المصلين؛ مع لقطة أفقية لهم؛ وبعد الانتهاء من تلاوة سورة الفاتحة وبداية تلاوة آيات قرآنية؛ يقدم لنا المخرج لقطات لجموع المصلين خارج المسجد الحرام 4:49سا؛ ثم بعدها لقطات من داخل المسجد 4:49سا،والمصلون قائمون للصلاة؛ وبعد الانتهاء من قراءة الآيات القرآنية يقدم لنا المخرج لقطات للمصلين راكعين 4:50سا، ثم يتبعها بلقطات للمصلين رافعين من الركوع 4:50سا، ثم تأتي لقطة تصوير المصلين وهم ساجدين، ثم وهم جالسين..، وبعد هذا يقدم المخرج لقطة لجموع المصلين قائمين للركعة الثانية 4:51سا وبداية تلاوة سورة الفاتحة، وبعدها آيات من القرآن الكريم، وهنا يقدم المخرج لقطات وصورا للمصلين وهو راكعين، 4:53سا، ثم وهم رافعين من الركوع، في مشهد مليء بالخشوع؛ ثم تأتي لقطة للمصلين وهم ساجدين ثم تتبعها لقطة للرفع من السجود، ثم لقطة للمصلين وهم جالسين، تلتها لقطة لسجود المصلين، 4:54سا، ثم لقطة للمصلين جالسين للتشهد؛ مؤطرة بمشاهد أفقية كبيرة، ثم بعد ذلك تأتي لقطة تسليم الإمام؛ ثم المصلين، 4:56سا.

وبعد مدة زمنية قليلة تستأنف عملية الطواف، مع بداية القارئ عبد الباسط عبد الصمد، بتلاوة القرآن الكريم، 4:57سا

مع استمرار عملية الطواف ولقد قمنا بالتقطيع التقني لمشاهد وصور إقامة صلاة الظهر ليوم 21 رمضان 1434هـ؛ حتى تسليم الإمام؛ واستئناف عملية الطواف؛ ولقد قمنا بتتبع عملية الطواف؛ وصلوات العصر، والمغرب، والعشاء حيث لاحظنا أن عملية الطواف لم تتوقف إلا في أوقات صلاة الفريضة.

ولقد تتبعنا بعد صلاة العشاء لـ: 21 رمضان 1434هـ، الركعات الأربع لصلاة التراويح، ولاحظنا تزايد عدد المصلين والطائفين مقارنة بصلاتي الظهر والعصر.

واستمر الطواف، وصلاة الفريضة من خلال صور قناة القرآن الكريم، بعد ذلك اليوم... وإلى وقت معلوم عند الله.

V- تمثلات الجمال والجلال في قناة القرآن الكريم السعودية:

1- **جمال وجلال التجمعات البشرية**: يتحدد من خلال صور "قناة القرآن الكريم" جمال التجمعات البشرية؛ من حيث درجة الانسجام الشكلي المتحقق بين الطائفين والمصلين، ومن حيث تجانس حركات الطواف؛ والسعي بين الصفا والمروة؛ ولقد دلت على ذلك لقطات الصور التلفزيونية التي أخضعناها للتقطيع التقني، ولا يمكن بحال هنا، في مثل هذا الموقف

الاكتفاء بالوصف الظاهري لهذا التجمع البشري؛ إذ يطلب هذا الوصف للجمال، وصفا آخر، يمتد إلى الجلال المطلق، فلقد لاحظنا من خلال صور الطائفين، والساعين بين الصفا والمروة، ومن خلال المصلين، أن هناك استمرارا في الزمان والمكان للتجمع البشري، وأن هناك أبعادا روحية إيمانية تجمع أفراده، ويبدو أن الجماليات التلفزيونية التقليدية غير قادرة على تأطير تجربة الجلال في مثل هذه الصور لقناة القرآن الكريم على المباشر؛ فإذا بحثنا في التجربة الجمالية التلفزيونية فإننا نجد أن التجمع البشري يأخذ اتجاهين؛ اتجاه يصور ويقدم التجمعات البشرية فنيا، من خلال الأفلام، المسلسلات...، وآخر يقدمها من خلال التغطيات الإخبارية لتجمعات الأحزاب السياسية، أو المسيرات، أو الاحتجاجات.. وفي شكل آخر تجمعات الجماهير في مباريات كرة القدم...

إن في تجربة الجلال من خلال تغطية "قناة القرآن الكريم" للتجمعات البشرية على المباشر(الصلاة، الطواف..)، على مدار الزمن 24سا/24سا؛ سموا فوق الجماليات التلفزيونية؛ فهي تجمعات محكومة بعبادة الخالق وقت الصلوات؛ ووقت الطواف، والسعي بين الصفا والمروة.

وهي تجمعات ممتدة في الزمن الحياتي؛ وفي الزمن التلفزيوني، ويمكن بهذا، الحديث عن إعجاز التجمع البشري من خلال الصورة التلفزيونية، حيث تكون هذه التجربة التلفزيونية على المباشر غير ممكنة لمن يريد تقليدها أو محاكاتها.

وتكون بذلك المعاني التي تقدمها الصورة التلفزيونية لهذه التجمعات البشرية، معاني جليلة، تعلو فوق معاني التلفزيون؛ حيث تعجز المقاربة السيميائية، أو سيمياء التلفزيون، في تفسير أسرار هذه التجمعات البشرية؛ في حركيتها، وصلواتها، وطوافها، ودعائها، واستمراريتها؛ لأن معرفتها وتبصرها، يطلبان تدخل المعرفة القرآنية، والمعرفة بالأحاديث النبوية. ويمكن الحديث هنا عن تجليات بعض معاني أسماء الله الحسنى في علاقتها بالجلال؛ فأسماء: الله، العظيم، الحي، الإله، الرب، تكون قد تجلت بعض معانيها في مثل هذه المشاهد لهذه الحشود البشرية؛ وهي تصلي وتطوف، وتدعو وتسبح.[11]

2- جمال وجلال الحركة:

يتضح من خلال تجربة المشاهدة التلفزيونية لقناة القرآن الكريم أن هناك جمالا تتصف به حركة التجمع البشري، من حيث التجانس؛ والسير عكس عقارب الساعة في الطواف؛ والسعي بين الصفا والمروة؛ أما الجلال فيشع حين تبصّرنا في مجمل اللقطات والمشاهد للقناة، وذلك من خلال:

أ- **الجلال في الحركة من خلال حضور القلب وارتباطه يقينا بالخالق**: ويتجلى ذلك من خلال الصلوات الخمس، والطواف بالكعبة؛ والسعي بين الصفا والمروة؛ والدعاء والتسبيح؛ والأذان، وتلاوات القرآن الكريم..

ب- **جلال حركة الزمن:** من خلال تعاقب الليل والنهار، واحتوائهما على حركتي الطواف، والسعي بين الصفا والمروة، اللامنقطعين..

ج- **جلال الحركة**: من خلال مصاحبتها لحركة الأرجل، حركة اللسان تسبيحا وذكرا؛ حركة الجوارح؛ الرمل، ...

د- **جلال الحركة؛** في مصاحبتها للنية، متبوعة بحركات مخصوصة في أوقات معلومة؛ تتجسد فيها معاني الخضوع والخنوع لله وحده، من خلال تغطيات "قناة القرآن الكريم" للصلوات الخمس؛ لقطات الصور التلفزيونية للراكعين، والرافعين من الركوع وللساجدين، والرافعين من السجود ..، ثم الجلوس للتشهد..

ه- **جوهر القيمة وجوهر الحركة**: تتحدد العلاقة بين القيمة والحركة من خلال صور "قناة القرآن الكريم" حين نلاحظ أن الحركة هي جوهر القيمة في حد ذاتها؛ بمعنى آخر، أن عبادة الله، والخضوع والخنوع، والخشوع له، من خلال الصور التلفزيونية، هي في جوهر قيمة الوجود؛ الذي لم يخلقه باطلا..

3- **إعجاز الحركة**

يحتوي اللامنقطع في حركة وحركية الطواف بالبيت العتيق إعجازا، حيث نرى من خلال الصورة التلفزيونية أن الطواف لا يتوقف؛ إلا في أوقات الصلاة المفروضة؛ فقد تبين من خلال تتبع لقطات ومشاهد صور "قناة القرآن الكريم"؛ أن الزمن في علاقته بالجلال قد تحول إلى عبادة لا منقطعة...؛ وفي هذا إعجاز؛ يختص به هؤلاء الناس (من خلال الصور التلفزيونية)، في عبادتهم وتناوبهم عليها؛ طيلة امتداد الزمان في الحياة..؛ وهناك إعجاز آخر من خلال الصور التلفزيونية؛ التي خضعت للتقطيع التقني؛ وهو النظام المطلق لحركة أوقات الصلوات الخمس، في امتداد دورانها وانسجامها مع حركة الليل والنهار؛ فالحركة ها هنا هي عبادة كلها في الزمان...؛ ولذلك كان الأذان دعوة لبداية الزمن المقدس؛ الذي هو الصلاة..

4- **جمال وجلال المكان:**

تجلى جمال وجلال المكان التلفزيوني على المباشر "قناة القرآن الكريم"؛ من خلال تصوير المسجد الحرام؛ على امتداد الزمان في المكان، وتصوير حركة الطائفين بالكعبة؛ ثم تصوير الصفا والمروة؛ ومقام سيدنا إبراهيم؛ وتقديم هندسة المسجد (في توسعته) وبالتأمل

في الصور التلفزيونية التي خضعت للتقطيع التقني يمكن الكشف عن دلالات الجمال والجلال في المكان من خلال ما يلي:

أ- أصل المكان: تكشف لنا الصور التلفزيونية لبيت الله الحرام، الكعبة، الصفا والمروة، ومقام سيدنا إبراهيم..؛ عن أصل المكان الذي تولاه الله تعالى بالحفظ والرعاية؛ حيث هو المكان الدال على جمع الناس للعبادة؛ فكان بذلك مكانا جميلا جليلا؛ يقترب من مضمون الجلال المطلق؛ قال تعالى: (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) الآية 127 من سورة البقرة. قال عبد الرحمن الثعالبي في تفسير هذه الآية: «واختلفوا في قصص البيت فقيل إنّ آدم أمر ببنائه ثمّ دثر ودرس، حتى دلّ عليه إبراهيم فرفع قواعده، وقيل أنّ إبراهيم ابتدأ بناءه بأمر الله، وقيل غير هذا، (ع) والذي يصح من هذا كلّه أنّ الله سبحانه أمر إبراهيم برفع قواعد البيت، وجائز قِدَمه، وجائز أن يكون ذلك ابتداءً...»[12] وقال أيضا: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) **الآية**96 من سورة آل عمران

ب- **جلال الكعبة في علاقتها بالبيت المعمور**: دلّت صورة الكعبة على الجلال المطلق، في اتصالها بالبيت المعمور، فالمسجد الحرام لا يفرغ من العبادة، والكعبة لا تفرغ من الطواف، وكذلك البيت المعمور في عمارته بالملائكة. وقال عبد الرحمن الثعالبي في تفسير قوله تعالى:«والبيت المعمور» الآية 4 من سورة الطور. «..هو الذي ذكر في حديث الإسراء، قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم هذا البيت المعمور يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم وبهذا هي عمارته، وهو في السماء السابعة، وقيل السادسة، وقيل انه مقابل للكعبة لو وقع حجر منه لوقع على ظهر الكعبة. وقال مجاهد وقتادة وابن زيد: في كلّ سماء بيت معمور، وفي كل أرض كذلك».[13]

ج- **تناسب المكان للوظيفة التي خلق لها:** لقد دل التجمع البشري في المسجد الحرام؛ من خلال "صور قناة القرآن الكريم" على الجلال المطلق؛ حيث نلاحظ أن المكان لا يفرغ أبدا من فعل العبادة، والذكر، والدعاء...؛ فالمسجد ومساحاته؛ للصلاة؛ والكعبة للطائفين ومقام سيدنا إبراهيم للصلاة، قال تعالى:(وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) الآية 125 من سورة البقرة، والصفا والمروة للسعي، قال تعالى (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ) الآية 158 من سورة البقرة

د- **طهارة المكان:** تتحدد طهارة المكان من حيث ارتباطه بالعبادة الحقة؛ فالمسجد الحرام؛ والكعبة المشرفة؛ وصحن الطواف، والصفا والمروة ... كلها أمكنة طاهرة مطهرة؛ تنسجم مع الطهارة الروحية والمعنوية والحسية للطائف، والعاكف؛ والعابد..؛ وبهذا يكون هذا المكان جميلا جليلا؛ يبعث على الراحة النفسية والطمأنينة القلبية؛ ولقد دل على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: (.. وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) الآية 125 من سورة البقرة وقال أيضا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ). الآية 28 من سورة التوبة.

ه- **جوهر قيمة المكان**: دلت صور "قناة القرآن الكريم" على الأبعاد الروحية والقيمية للمكان التلفزيوني على المباشر؛ من خلال عمليات الطواف، والسعي بين الصفا والمروة؛ وتصوير الصلوات الخمس على المباشر؛ ويبرز جوهر قيمة المكان الطاهر من خلال احتضانه لجوهر العبادة؛ ولحقيقة الألوهية والربوبية؛ ولحقيقة وجود الإنسان.

و- **امتداد المكان في الزمان**: دلت صور قناة القرآن الكريم، على جلال وجمال وتجانس المكان والزمان؛ من خلال تعاقب الليل والنهار واحتوائهما لعبادة الصلاة؛ بمتطلباتها؛ كالوضوء، والطهارة، والأذان، والإقامة، والركوع، والسجود...، ثم الطواف الذي يطلب مكانا محدودا، محددا، لا يكون إلى في المسجد الحرام؛ فالكعبة المشرفة هنا عبر صور قناة القرآن الكريم تطلب طوافا لا ينقطع زمانا أبدا؛ ثم يتبع الطواف السعي بين الصفا والمروة وهي حركة تابعة للطواف زمانا..؛ ويكون بذلك المكان، الذي هو بيت الله الحرام؛ ممتدا في الزمن الماضي، والحاضر، والمستقبل، فهو باق إلى وقت معلوم عند الله.

5- **جمال وجلال المعنى**:

لما كانت الصور التلفزيونية المباشرة التي خضعت للتقطيع التقني، عارضة لشتى أنواع الجمال والجلال، فإن هذا دال على جلال المعنى وتجسيد حقيقة تفسير؛ وتأويل وتدبر، جوهر هذا المعنى الجليل، إن المعنى وقيمة المعنى المتولدان من فعل الصلاة؛ بفرائضها، وسننها، ومستحباتها، كما دل على ذلك فقه الصلاة، لا يعقلها إلا الإنسان المسلم؛ وكمال المعنى في ذلك هو اجتماع الظاهر بالباطن، بنية موصولة بالقلب إلى الله تعالى.. إن بناء الصور التلفزيونية المباشرة؛ للمعنى وجلاله، في ارتباطهما بالوجود وحقيقته يثيران في المشاهد والمتلقي الإحساس والشعور بالمطلق الأخروي؛ مما يولد حالة تذوق لحلاوة جوهر المعنى تكون نتيجتها تذوق حلاوة الخشوع؛ مما يؤسس لمقولة إعجاز المعنى من خلال صور قناة القرآن

الكريم خاصة معاني القرآن الكريم، إن في هذا الإعجاز سموا على المعاني كلها التي تقدمها الصور التلفزيونية الأخرى (القنوات والفضائيات الأخرى مجتمعة) فهي لن تستطيع أن تأتي بمثل تلك المعاني الجليلة، المرتبطة بالمطلق الأخروي؛ ولو حشدت لذلك المخرجين، والمصورين، والممثلين أجمعين.

وفي بناء الصورة التلفزيونية المباشرة (قناة القرآن الكريم)، للمعنى وجلاله في ارتباطهما بالوجود وحقيقته؛ استثارة لحقيقة القرآن؛ وسمعاه؛ والإنصات له؛ فالقرآن الكريم هنا؛ ومن خلال تلاوات متنوعة مباركة؛ يعلو على المعنى بالمفهوم البشري؛ لأنه من عند الله. ويكون بذلك المعنى الذي هو في القرآن، جامعا للمعاني كلها؛ لأنه جمع الإعجاز في نظمه من بداية نزوله وتلقيه؛ إلى وقتنا الحالي؛ وإلى وقت معلوم عند الله.

إن تجلي جلال المعنى من خلال الصور التلفزيونية المباشرة (قناة القرآن الكريم)؛ يكون متعددا ومتنوعا؛ تبعا لمكونات الصور؛ وعمليات الجذب الروحي فيها؛ فالكعبة الشريفة معاني جليلة؛ ترتبط بأصل البيت؛ وهي أصل تجلي عبادة الإنسان فوق الأرض؛ وهي جوهر المعنى العبودي؛ الذي يجذب المعتمرين والحجاج من كل جهات الدنيا.

وبهذا الذي سبق؛ يكون المسجد الحرام؛ جلالا مطلقا، مرتبطا بالمطلق الأخروي..؛ ومنه تكون المعاني التي يقدمها؛ وينتجها المسجد الحرام، عبر قناة القرآن الكريم معاني مطلقة مرتبطة بالمطلق الأخروي..؛ فالمعاني المترتبة عن الصلاة في المسجد الحرام؛ أو العمرة في رمضان، تكون مضاعفة أضعافا كثيرة؛ تعجز عن تفسيرها وتذوقها سيميولوجيا الصورة التلفزيونية بالمفهوم الحديث.

إن الزمن التلفزيوني، من خلال قناة القرآن الكريم؛ هو زمن مباشر وزمن حياتي؛ يزهر جمالا وجلالا؛ لدى المتلقي للصور، والمصلين، والركع السجود؛ جلال مطلق؛ يطلب جزاء، من عند الله، مضاعفا أضعافا كثيرة؛ ويتولد بهذا؛ جلال الزمن التلفزيوني في ارتباطه وقربه من جلال الزمن في بعده الأخروي؛ حيث يكون معنى الزمن الحياتي مقارنة بمعنى الزمن الأخروي، لا شيء، حيث تتأسس بذلك قاعدة الخلود.

وفي علاقة الزمن عبر الصور التلفزيونية لقناة القرآن الكريم، بالجمال؛ حديث آخر حيث يكون الجمال هنا صورة للجلال وتجلياته؛ فالزمن أثناء الصلاة، ووقتها، وتأديتها، وإقامتها، جلال؛ والزمن بعد ذلك جمال؛ والزمن من خلال وقت تلاوة القرآن الكريم جلال؛ وبعد القراءة جمال؛ والزمن أثناء الطواف (السير عكس عقارب الساعة) جلال؛ وبعده جمال؛ ولباس الإحرام وزمن الإحرام جلال والتحلل بعد ذلك جمال..

وفي نظرتنا هذه للجلال؛ ارتباط بمعاني أسماء الله الحسنى وتجلياتها في بيت الله الحرام؛ حيث يكون المعنى الحياتي الذي هو في الدنيا قريبا من المعنى الأخروي الذي هو في الآخرة؛ وهنا؛ لا يكون للإنسان القدرة على ولوجه؛ لأنه خارج عنه؛ وفي هذا إعجاز يتجسد في فناء معاني الحياة كلها، وبقاء معاني الحياة الآخرة؛ وفي بنية الصور التلفزيونية المدروسة؛ معاني جليلة لحقيقة الألوهية والربوبية.

وبهذا؛ تكون دراسات المعنى لدى الإنسان؛ عبارة عن تمثلات لحقيقة جوهره كما أوحى به الله سبحانه للأنبياء والرسل، وكل انحراف عن هذا الجوهر يصاحبه انحراف في إنتاج وتأويل المعنى؛ وبهذا، يمكن الحديث عن حياة وموت المعنى، وعن الإحياء والإماتة بالمعنى؛ فالصور التلفزيونية لقناة القرآن الكريم، تحمل معاني الحياة؛ ويتجلى ذلك في تلاوات القرآن الكريم، والاستماع والإنصات له، فجلال المعنى المتولد من القرآن يطلب حياة؛ وبالتالي يكون الإحياء بهذه المعاني حاملا للإعجاز القرآني؛ كما تتجلى عمليات الإحياء بالمعاني، من خلال الصور التلفزيونية لجموع المصلين والركع السجود بتواصلهم مع الخالق تعالى. وتبرز عمليات الإحياء بالمعاني من خلال الصور التلفزيونية، لجموع الطائفين بالكعبة، والساعين بين الصفا والمروة، كما يبرز الإحياء بالمعاني من خلال تسبيح، وتكبير، وتهليل، جموع التجمعات البشرية.

6- إعجاز الصور التلفزيونية المباشرة:

الإعجاز المقصود هنا هو عدم قدرة أي قناة تلفزيونية (على المباشر)، أن تأتي بمثل ما في صور قناة القرآن الكريم؛ تمثيلا، أو تقليدا، أو تصويرا، خارج مكان وزمان التصوير؛ بمعنى آخر؛ إن الحديث عن إعجاز الصور التلفزيونية هنا، يكون مرتبطا أساسا بالمكان الطاهر المقدس؛ وما حوى، من حيث بنية الصورة ومعانيها، ولقطاتها؛ وامتدادها في الزمان على المباشر، ومصاحبة تلاوات القرآن الكريم لها؛ ثم ذلك التجمع الإنساني اللامنقطع والمتنوع والمنتظم في صلاته، وطوافه، وسعيه، وتسبيحه..؛ وبالحديث عن إعجاز الصورة التلفزيونية لقناة القرآن الكريم؛ يتولد الحديث عن إعجاز الجلال، من خلال الحديث عن بقاء المسجد الحرام؛ والكعبة، وقدمهما؛ ويكون استمرار المكان في الزمان هنا، دالا على إعجازه.

7- جمال وجلال المشاهدة والتلقي:

لقد كشفت لنا لقطات وصور قناة القرآن الكريم؛ عن وجود تجربة تلفزيونية؛ تسمو بنا فوق التجارب التلفزيونية الأخرى؛ كتجربة مشاهدة وتلقي الدراما التلفزيونية؛ تجربة مشاهدة وتلقي الأخبار؛ تجربة مشاهدة وتلقي الفكاهة..؛ ذلك أن مكونات هذه اللقطات؛

والصور كما لاحظنا من قبل، مرتبطة بالمكان والزمان المقدسيين، إضافة إلى أنها لقطات وصور للصلوات؛ والطواف؛ والسعي بين الصفا والمروة؛ كما أنها صور تسمعنا ترتيل القرآن.

إن حديثنا هنا؛ عن جمال وجلال المشاهدة والتلقي لتلفزيوني غير مؤطر بنظرية القراءة والتلقي وجماليات التلقي، وإنما سنأخذ مصطلحات من موروثنا كما تحدث عنها بعض علمائنا؛ ثم نحاول إضافة بعض المصطلحات اجتهادا منا؛ مرتكزين على ضرورة إرجاع الجمال والجلال إلى الله سبحانه؛ كما لاحظنا ذلك في الأول.

ونبدأ حديثنا عن الجمال وجلال المشاهدة، والتلقي من خلال "قناة القرآن الكريم" السعودية كما يلي:

أ- جمال وجلال ترتيل القرآن الكريم:

كشفت لنا صور قناة القرآن الكريم؛ عن أن عملية ترتيل القرآن مستمرة في الزمان؛ لا تتوقف إلا في أوقات الصلوات المفروضة؛ وفي حالات أخرى؛ ودل هذا على إعجاز القرآن الكريم؛ من حيث كونه الكتاب السماوي الذي يتلى آناء الليل وأطراف النهار؛ لا تتوقف معانيه في الحياة امتدادا؛ ولقد أبدعت صور ولقطات قناة القرآن الكريم؛ في تنويع القراءة وطرق لأداء؛ وتنويع القراء، والمرتلين؛ ووجوه القراءة؛ كما أبدعت في تنويع القراءة كما قررها العلماء، بين التحقيق، والحذر، والتدوير.[14]

وجمال وجلال الترتيل ها هنا؛ إنما هو راجع إلى طريقة وأسرار نظم القرآن؛ ولذلك فالترتيل- كما يرى أبو حامد الغزالي "..هو المستحب في هيئة القرآن.."؛[15] ويضع الغزالي، عشرة أسس في أعمال الباطن في التلاوة؛ تزيد الترتيل جلالا وعظمة؛ يزهر خشوعا لدى المستمع؛ وهذه الأسس هي: "..1- فهم أصل الكلام، 2- التعظيم، 3- حضور القلب، 4- التدبر، 5- التفهم، 6- التخلي عن موانع الفهم، 7- التخصيص، 8- التأثر، 9- الترقي، 10- التبري .."[16]

وبهذا الذي سبق، وغيره، يتحقق لنا، من خلال قناة القرآن الكريم إعجاز جلال ترتيل القرآن؛ الممتد في الزمان المطلق داخل المكان المقدس.

ب- جمال وجلال المشاهدة والسماع والإنصات:

تحددت جمالية وجلال الرؤية والمشاهدة؛ لمكونات الصور التلفزيونية التي أخضعناها للتقطيع التقني من خلال:

– توظيف حاسة البصر في النظر لتجليات الخالق سبحانه، ومن خلال، أداء الصلوات الخمس؛ صلاة التراويح، الطواف بالكعبة؛ والسعي بين الصفا والمروة؛ والمسجد الحرام؛ والمعتمرين..

– الرؤية والنظر بالبصيرة؛ في تجليات آثار نعم الله، وربطها بالجلال المطلق الآخروي..

ويتولد بهذا؛ ما يمكن تسميته؛ الجلال المطلق للمنظر والمشهد التلفزيونيين؛ روحانية الرؤية القلبية عن طريق الصورة التلفزيونية..؛ الذوق القلبي عن طريق الصورة التلفزيونية ويمكن الحديث هنا، عن معاني بعض أسماء الله الحسنى في علاقتها بجلال البصر، والإبصار، والبصيرة؛ فبعض معاني أسماء الله الحسنى؛ البصير، المصور، السميع، تكون قد تجلت هنا[17]

– جلال سماع القرآن الكريم وهو يتلى:

دلت عملية سماع، حروف القرآن الكريم، وآياته، وسوره وهو يتلى، على الجلال المطلق لهذا القرآن؛ من خلال نظمه المعجز بإعطاء كل حرف حقه؛ وكل كلمة حقها؛ وكل آية حقها؛ ويتولد هنا ما يمكن تسميته جلال سماع حروف، وكلمات، وآيات القرآن الكريم؛ عبر الصورة التلفزيونية. كما دلت عملية سماع القرآن الكريم؛ وهو يتلى؛ على توافق المعاني التي فيه، مع ما تريده النفس الإنسانية؛ ومن خلال توافق وتساوق، حروفه وأصواتها؛ وكلماته وحروفها؛ وجمله وكلماتها؛[18] مع ما يرومه السمع والبصر والفؤاد.

إن سماع القرآن عبر صور قناة القرآن الكريم؛ لهو الإعجاز المطلق؛ حيث يستمر الترتيل في الزمان امتدادا؛ ويتولد هنا ما نسميه؛ جلال السمع ،جلال الخشوع السمعي التلفزيوني؛ جلال حلاوة السماع التلفزيوني؛ جلال وجل القلوب؛ جلال لين القلوب؛ جلال وجل السماع؛ جلال الاقشعرار والخشية؛[19] جلال خشية الله؛ جلال التداوي بسماع القرآن، جلال الذوق الروحي، جلال الطمأنينة السمع بصرية.

ج- جمال وجلال الإحياء بسماع القرآن:

إن في سماع القرآن الكريم؛ عبر الصور التلفزيونية الخاضعة للتحليل لحياة للأنفس والقلوب معا؛ فمعرفتنا بأسرار سماع القرآن وقراءته تخبرنا بذلك، فهو شفاء لما في الصدور؛ وهو نور مبين؛ تخشع القلوب وتتصدع بتلقيه.

8- جمال وجلال الأذان:

دل الأذان من خلال الصور التلفزيونية، لقناة القرآن الكريم، ليوم 21 رمضان 1434هـ على دخول زمن الصلوات الخمس؛ وهو الزمن المطلق المقدس؛ ودلت صفة الأذان على جمال وجلال معنى كلمات الأذان؛ فالدعوة للصلاة؛ هي دعوة لتكبير وتعظيم الله؛ والإقرار بوحدانيته، مع الإقرار بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله.

9- جمال وجلال تلبية الأذان:

لقد دلت الصور التلفزيونية التي أخضعناها للتقطيع التقني؛ أن جموع المصلين قد لبوا نداء الأذان للصلوات الخمس، ليوم21 رمضان 1434هـ؛ وفي هذه التلبية طاعة وانقياد لذي الجلال والإكرام؛ المعبود بحق؛ الأحد؛ الصمد؛ وهو الرب؛ القدير؛ السميع؛ الحي؛ القيوم العلي؛ العظيم؛ القوي؛ القهار؛ الكبير؛ الأعلى؛ ..[20]

10- جمال وجلال العبادة:

دلت لقطات ومشاهد، وصور قناة القرآن الكريم، على جلال وجمال العبادة؛ فسلوك الوافدين إلى بيت الله الحرام بنية؛ هو عبادة، وحركات المصلين والطائفين عبادة؛ وتسبيحاتهم عبادة؛ وتكبيراتهم عبادة؛ ودعاؤهم عبادة؛ ولباس الطواف عبادة...؛ ويتضح ذلك من خلال:

أ- جمال وجلال الصلاة[21]

- أقوال الصلاة: احتوت أقوال الصلاة على الجلال المطلق؛ والجمال؛ بداية من تكبيرة الإحرام "الله أكبر" ثم التكبيرات الأخرى مع أفعال الصلاة؛ التي تدل على عظمة الخالق، وعبوديتنا له؛ كما احتوت أقوال الصلاة؛ على القرآن الكريم؛ إذ دلت قراءته في الصلاة، جهرا وسرا، على عظمته وجلاله سبحانه؛ كما احتوى التسميع والتحميد على الجلال والجمال؛ ثم ما يقال في الركوع والسجود؛ فيه دلالات على التسبيح والتنزيه لله؛ وما يقال أيضا في التشهد الأول والثاني؛ يحمل الجلال والجمال...؛ وما يقال في نهاية الصلاة؛ جمال وجلال.

ب- أفعال الصلاة: احتوت أفعال الصلاة على الجلال، والجمال؛ بداية من الوقوف للصلاة؛ إلى التحلل منها.

ج- لقد شاهدنا أثناء عملية التقطيع التقني أن هناك نظاما وانسجاما مطلقين يحكمان الصلوات الخمس؛ وصلاة التراويح؛ فالوقوف للصلاة دال على الاستقامة والوقوف بين يدي الله؛ وفي هذا جلال وجمال.

د- وفي استماع المأمومين لقراءة الإمام في الصلاة الجهرية؛ وفي صلاة التراويح؛ جلال وجمال السماع والتلقي...؛ ودل فعل الركوع والرفع منه؛ بهيئته المعروفة؛ من خلال صور قناة القرآن الكريم، على الجلال والجمال؛ كما دل السجود والرفع منه؛ على الجلال والجمال.

ه- تناسق أقوال، وأفعال، وحركات، وهيئة، الصلاة: إن في هذا التناسق لجلال وجمال، يقدمان لنا إعجاز فعل الصلاة على المباشر؛ فالأقوال؛ موحدة للقلوب في توجهها لله؛ والأفعال موحدة للقلوب كذلك في توجهها لله.

و- تناسق الصلوات الخمس مع أوقاتها؛ جمال وجلال.

ز- جمال وجلال الطواف: دلت المعاني المتولدة من الطواف؛ والسعي بين الصفا والمروة على الجمال والجلال؛ وذلك بتجانس حركة الطواف؛ وعدم توقفها إلا في أوقات صلاة الفريضة (كما لاحظنا هذا في الأول) كما دل فعل الطواف على جلال الكلمات والألفاظ التي تقال؛ فهي تسبيحات؛ وتكبيرات وأدعية..

ح- جمال وجلال التسبيح، والتكبير، والدعاء؛ ودل ذلك على التسبيحات والأدعية بعد الأذان مباشرة؛ ومن خلال أدعية المصلين برفع أيديهم؛ وكذلك الأدعية في صلاة التراويح.

11- جمال وجلال اللقطات التلفزيونية:

تجلى الجمال والجلال في الصور التلفزيونية؛ لقناة القرآن الكريم؛ التي أخضعناها للتقطيع التقني؛ من خلال مجمل أنواع اللقطات بأنواعها؛ كاللقطة العامة؛ اللقطة الصغيرة، اللقطة المتوسطة، اللقطة القريبة؛ ويمكن هنا الحديث عن تسميات أخرى لهذه اللقطات مصحوبة بالفعل الذي تقدمه، وذلك كالآتي:

- لقطة القيام للصلاة: وهي اللقطة التي تقدمها قناة القرآن الكريم لجموع المصلين، ما بين إقامة الصلاة، وتكبيرة الإحرام.
- لقطة دخول الصلاة: وهي اللقطة التي تقدمها قناة القرآن الكريم لجموع المصلين؛ وهم يكبرون بعد تكبيرة الإمام.
- لقطة الركوع: وهي التي تقدمها القناة للمصلين وهم راكعين، بعد ركوع الإمام.
- لقطة الرفع من الركوع: وهي اللقطة التي تقدمها القناة للمصلين وهم رافعين من الركوع بعد رفع الإمام.
- لقطة السجود: وهي اللقطة التي تقدمها القناة للمصلين وهم ساجدين؛ بعد سجود الإمام.
- لقطة الرفع من السجود: وهي اللقطة التي تقدمها القناة للمصلين وهم رافعين من السجود، بعد رفع الإمام.
- لقطاتا الجلوس للتشهد الأول والثاني: وهما اللقطتان المقدمتان لجموع المصلين جالسين؛ للتشهد الأول والثاني؛ بعد تكبير الإمام وجلوسه.
- لقطة تسليم المصلين، بعد تسليم الإمام.
- لقطة الطواف: وهي التي تصور الطائفين بالكعبة.

- لقطة السعي بين الصفا والمروة: وهي التي تصور الساعين بين الصفا والمروة.
- لقطة الخشوع بالصلاة: وهي اللقطة التي تصور الإمام أو المصلين في حالة البكاء..

إن لكل نوع من اللقطات المذكورة جلالا وجمالا؛ فكل لقطة قدمت معاني الخشوع؛ والخشية؛ والرجاء؛ والدعاء؛ ... كانت جليلة؛ وكل لقطة بعثت على الفرح والبهجة والسرور؛ والراحة البصرية كانت جملية.

خاتمة:

تعتبر دراسة الجماليات التلفزيونية مجالا خصبا؛ يحتاج إلى المزيد ن التطوير؛ والتنظير؛ ذاك أن لكل مرحلة تاريخية حاجتها ووعيها الجماليين؛ وأن لكل مجتمع خصائصه وقيمه الجمالية، وفي ظل تكنولوجيا الاتصال والبث الفضائي المباشر؛ وثقافة العولمة؛ كان لزاما علينا إعادة النظر في بعض محتويات النظرية الجمالية الغربية؛ التي ظلت تؤطر سلوكنا ووعينا الجماليين لعقود طويلة؛ في إطار ما يعرف بنظرية التلقي؛ وجماليات التلقي.

إن لكل أمة جمالياتها الخاصة بها وذوقها الخاص بها؛ يميزانها عن غيرها من الأمم؛ ولذلك فقد حاولنا تبيان ذلك من خلال الولوج إلى قيمة الجلال؛ كقيمة جمالية عظيمة؛ لم تنل حظها الكافي من الفهم؛ والتذوق؛ والتفسير في إطار الجلل المطلق؛ ومعاني ذي الجلال والإكرام.

إننا هنا ندعو لإعادة قراءة وفهم، وتذوق الجلال والجمال في إطار الأبعاد الروحية والإيمانية؛ والأخلاقية؛ التي يرجع أصلنا إليها ابتداء. إننا بهذا؛ نعتقد أن تحليل نفسية الجلال التلفزيوني، من خلال قناة القرآن الكريم؛ قد أفرز مجموعة من المقولات؛ تحتاج إلى المزيد من البحث والتجريب؛ وهذه المقولات هي: الجلال المطلق الأخروي، جلال المكان المطلق، جلال الزمان المطلق، جلال التجمعات البشرية، جلال الحركة، جلال حركة الزمن، إعجاز الحركة، جلال الكعبة، جلال أصل المكان، جلال طهارة المكان، جلال المعنى، جلال المشاهدة والمتقلي، الجلال المطلق للمنظر والمشهد التلفزيونيين، روحانية الرؤية القلبية عن طريق الصورة التلفزيونية، الدوق القلبي عن طريق الصورة التلفزيونية، جلال سماع القرآن، جلال السمع، جلال الخشوع السمعي التلفزيوني، جلال حلاوة السماع التلفزيوني، جلال وجل القلوب، جلال لين القلوب، جلال وجل السماع، جلال الاقشعرار والخشية، جلال البصر والإبصار والبصيرة، جلال خشية الله، جلال التداوي بسماع القرآن، جلال الذوق الروحي، جلال الطمأنينة السمعبصرية، جلال التسبيح والتكبير والدعاء، جلال العبادة، جلال الطواف، جلال السعي بين الصفا والمروة، جلال الصلاة..

الهوامش

1- أنظر:

André bazin. critique de télévision, in: Jérôme Bourdon frodon Jean Michel l'oleil critique, le journaliste critique de télévision, édition de book université Bruxelles, 2003, p.48.

2- أنظر:

Knut Hicke Thier. La critique en Allemagne, in Jérôme Bourdon, op, cit, p.120.

3- أنظر: أ . بو ريتسكي، الصحافة التلفزيونية، ترجمة أديب خضور، ط1، دمشق ، بناية الصحافة، 1990، ص83.

4- أنظر: محمد راتب النابلسي. موسوعة أسماء الله الحسنى وصفاته الفضلى من الكتاب والسنة، مؤسسة الفرسان، الأردن، ط1، 2015، ص ص845، 847 - بتصرف-

5- أنظر: ابن العربي «أحكام القرآن»، شركة القدس للتصدير، القاهرة، ج 2، ط1، 2008 ،ص303.

6- محمد راتب النابلسي، مصدر سبق ذكره، ص845.

هناك من يترجم le Sublime بلفظة السامي؛ إلا أننا فضلنا استخدام لفظة الجلال، لأن "السامي" ترجم بـ: "le noble" أنظر مثلا:

شارل لالو. مبادئ علم الجمال، ترجمة مصطفى ماهر، مراجعة يوسف مراد. دار إحياء التراث العربي، 1959، ص35.

جورج سانتيانا. الإحساس بالجمال، تخطيط لنظرية في علم الجمال، ترجمة، محمد مصطفى بدوي، مراجعة زكي نجيب محمود، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، دون تاريخ.

بنديتوكروتشه، **علم الجمال**، تعريب، نزيه الحكيم، المطبعة الهاشمية 1963

7- دني هويسمان .علم الجمال، ترجمة، ظافر الحسن، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دون تاريخ، ص 52.

8- مارك جيمينيز. ما الجمالية؟ ترجمة شربل داغر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص157.

9- المرجع نفسه، ص156 – بتصرف.

10- هذه الفكرة مستوحاة من عند "بديع الزمان سعيد النورسي، **رسالة الحشر**، ترجمة، مركز الترجمة والبحوث العلمية، استنبول، تركيا، دار السنابل الذهبية، القاهرة، ط1، 2009. وأنظر: كليات رسائل النور، حيث نجد إبداعات فاقت مجمل الفلسفة الغربية حول

الجميل والجليل، إذ قدم نظرية جمالية متكاملة، فبدأ بالحياة الدنيا وما فيها، ليصل إلى الحياة الأبدية الأخرى؛ حيث الجمال المطلق والجلال المطلق.

11- لمعرفة هذه الأسماء أنظر: النابلسي، مصدر سبق ذكره، ص ص37، 131.

12- عبد الرحمن الثعالبي. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: عمار الطالبي، ج 1، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 134.

13- المصدر نفسه، ص ص، 291، 292.

14- للتوسع أنظر: مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الجزائر، مكتبة رحاب، دون تاريخ.

15- أنظر: أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، بيروت، دار المعرفة، ص277، دون تاريخ.

16- المصدر نفسه، ص280.

17- لمعرفة معاني هذه الأسماء أنظر: محمد راتب النابلسي. المصدر السابق الذكر.

18- اقتبسنا هذا التعبير من مصطفى صادق الرافعي-المرجع السابق الذكر.

19- انظر مقامات السماع لدى أبو حامد الغزالي حيث يقول :"سماع من تجاوز الأحوال والمقامات فغزب عن فهم ما سوى الله تعالى حتى عزب عن نفسه وأحوالها ومعاملاتها وكان كالمدهوش الغائص في بحر عين الشهود.." الإحياء ج 2، ص 291.

20- أنظر: صحيح مسلم، باب صفة الأذان.

21- أنظر: صحيح مسلم، كتاب الصلاة.